التعويض عن النقص الخارجي "الجسمي" في الشعر العباسي

الكلمات المفتاحية : العمى وضعف البصر، القصر، العرج

حسين كنعان غائب
جامعة سامراء / كلية التربية
ha3733611@gmail.com

أ. د. كمال عبدالفتاح حسن السامرائي
جامعة سامراء / كلية التربية
dr.kamal67@yahoo.com

تاريخ استلام البحث ٢٠٢١/٧/٣١ تاريخ قبول نشر البحث ٢٠٢١/٨/٢٣

الملخص

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد:

إنَّ النفس الانسانية تواقة للتعبير عن العواطف عندما تتعرض للأذى، وعليه فإنّ حوادث السنين العصيبة والمؤلمة تؤثر على الشاعر فيصدر خطابه الشعري؛ لأنَّ المشاعر عند تعرضها للأذى فإنَّها تحاولُ كبت غيضها، لكن لابدَّ أنْ تُبدي فعلًا تعبر به عمَّا اعتراها من أذى .

إنَّ مظهر الشاعر العام يشكل أهمية كبيرة ومهمة في مجتمعه الذي ينتمي إليه، فهو أسير عادات ذلك المجتمع. فإذا أُصيب الشاعر بعاهة في ذلك الجسد – ولاسيَّما حين يكون ظاهرًا لا يمكن إخفاءه – يوثر تأثيرًا كبيرًا في نفسية الشاعر فيبوح بأحاسيسه المفعمة بالنقص، ويورد الألفاظ الدالة على الخطاب التعويضي. إذْ هناك علاقة وثيقة بين السيادة واللياقة البدنية والجسمانية، حائلًا دون تحقيق السيادة، ويزيد الأمر سوءًا حين يُلقب الشاعر بعاهته بين المجتمع فتأثير ذلك النقص يكون شديدًا جدًا، لأن الشاعر في مثل هذه الحالة لا يستطيع أنْ يفَّر من حقيقة النقص الظاهر عليه، وهو ينتمي إلى مجتمع لا يتركه وشأنه فلا ينفك يذكره الناس بذلك النقص أينما حلَّ و أرتحل، وإنَّ بعض الشعراء لا يعرفون إلا بذلك اللقب أو العاهة .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بُعِث رحمةً للعالمين سيدنا وحبيبنا محمد الأمين (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) .

وبعد...

إنَّ البحث في الشعر العربي يفتح لنا الآفاق الكثيرة؛ لما يحتويه من المعاني الغزيرة والمتعددة، لاسيما أن الشعر العربي هو وسيلة إعلامية قبل أن يكون نتاجاً فنياً إبداعياً، وفي العصر العباسي انفتحت الدولة العربية الإسلامية على الأجناس الأخرى بسبب اتساع رقعة الفتوحات، ودخلت أقوام هذه البيئات في الإسلام، وأصبح الاختلاط بهم تحت أخوة الدين هو الأساس الثابت.

وعليه شكل هذا الاتساع والانفتاح تعددية في الثقافات والفهم الخاص عند الشاعر، مما أثر في المجتمع والشاعر على السواء، فأخذ المجتمع ينظر إلى عيوب الشعراء كفرصة للاستنقاص منهم من جهة، أو وسيلة من وسائل الضغط على الشاعر من جهة أخرى، فكان لجوء الشعراء إلى التعويض في أشعارهم أمراً ضرورياً للرد على المجتمع والدفاع عن أنفسهم، وتحويل الجانب السلبي إلى إيجابي، وبين هذا الشد والجذب تظهر أهمية الموضوع في الولوج إلى النصوص الشعرية واكتشاف الخطابات التعويضية التي اشتملت عليها.

مفهوم التعويض لغةً وإصطلاحًا

التعويض لغةً :

العوضُ، البدلُ، قال أبن سيدة : وبينهما [١] فرقٌ لا يليق ذكره في هذا المكان، والجمع أعواض. تقول: عاضه منه وبه، والعوض مصدر عوض. تقول: عاضه عوضه عياضًا معاوضةً[٢].

والتي تستدعي بدل ومبدل منه ، وتقول: (عاضه بكذا وعنهُ ومنهُ عوضًا أعطاه إياهُ بدل ما ذهب منهُ فهو عائض... ويُقال: عاوض فلانًا بعوض في البيع والأخذ والإعطاء عوضه

منه أعاضه، ويُقال: عوضهُ من هبته خيرًا . وأعتاض منه أخذ العوض وفلانًا سأله العوض. .. والعوضُ البدلُ والخلفُ والجمعُ أعواض)[٣].

التعويض إصطلاحًا:

إنَّ مفهوم "التعويض" لم يستعمل كمصطلح نقدي أو أدبي؛ لذا بعد التفتيش والتمحيص في كتب المصطلحات لم أجد تعريفًا يوحي بمقاصد بحثي، وإنَّ جلَّ ما عناه هذا المفهوم في كتب المعاجم اللغوية، والكتب الفقهية والأوامر القانونية هو: وجوب دفع العوض سواء أكان ذلك العوض ماديًا – وهو في الغالب – أم معنويًا. والذي يترتب على صاحب البدل غرامة من أيّ نوع كانت وعليه فإنَّ التعويض يعني: (تدارك الضرر بمنح المضرور [وهو الذي وقع عليه الضرر] تعويضًا عادلًا وفقًا لظروف كل حالة)[٤].

وعليه فإنَّ التعويض هو: سلوك واعي تحركه إرهاصات نفسية كامنة في ذات الفرد "الشاعر" ليعبر به عمَّا يعتريه من نقص فيبحث عن وسائل تساعده في صياغة ذلك التعويض فيستعير الشاعر بالخيال ليخلق له عالمًا أفضل بكثير من العالم الذي يعيشه أو يحلم به، ويسعى للحصول عليه، وإنَّ الذي يعنينا هنا هو الخطاب القائم على نزعة ذاتية للتعويض[٥]. وعليه سيكون الإنطلاق في هذا البحث من محورين:

المحور الأول

عاهة العمى وضعف البصر ، العور

أولاً: عاهة العمى وضعف البصر

إنَّ مصطلح العمى يعني: (ذهاب البصر وعدم الرؤية واستتار المرئيات عن الناظر)[٦]. . وقيل: (إنَّه عبارة عن عدم البصر عمَّا من شأنه أنْ يبصر)[٧].

وعليه فإنَّ بعض الشعراء ممن أُصيبوا بعاهة العمى [سواء أكان كليًا أم جزئيًا أي ضعف الرؤيا] قد ضمنوا قصائدهم الشعرية ببعض الخطابات التعويضية التي كشف لنا عن خفاياهم النفسية. إذ يسعى كل شخص في الحياة إلى إثبات ذاته وتحقيق أهدافه، وما يعوقه

عن ذلك إصابته بعجزٍ أو عاهة، فالكفيف يعيش في عالم خاص به، ولكنه قد يصل إلى صراع نفسي ما بين الاستسلام للعاهة أو تحدي عاهته وإثبات ذاته.

ومن هؤلاء الشعراء الشاعر "بشار بن برد"[٨] شاعر مخضرم الدولتين الذي ولد أعمى ولم ينعم بحاسة البصر قبيح المنظر، وقد وصفه الاصمعي فقال: (كان بشار ضخمًا، عظيم الخلق والوجه، مجدورًا طويلًا، جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحمٌ أحمر، فكان أقبح الناس عمىً، وأفظعه منظرًا...)[٩]. فكان لهذه العاهة أثرها في نفس الشاعر، فبادر الشاعر من خلال شعره بإصدار خطابه التعويضي.

إذ اتخذ "بشار بن برد" مسارين متناقضين للتعويض في شعره، وإنَّ هذا التناقض هو ردة فعل لما يحيط به. فكان المسار الأول الذي لا يمكن تجاهله في سماء الأدب العربي، وما عرف به من رقة الوصف، وبراعة التصوير. فقد كان مسار البراعة والبيان، الذي تمثل عند الشاعر بدقَّة الوصف، وحسن التصوير التي فاق أقرانه الشعراء المبصرين.

(فلما أنشد قوله:

كـأن مَثـارُ النَّقـعِ فـوقَ رؤوسـنا وأسـيَافنا ليـلٌ تهـاوى كَوَاكِبُـه

قيل له: ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا، ولم ترى الدنيا قط، ولا الأشياء؟ فقال: إنَّ عدم النظر يقوي ذكاء القلب، ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوفر حّسه، وتذكوا قريحته)[١٠]. فكان هذا القول تأكيدًا من الشاعر على مقصده من هذا الوصف، وهو التعويض، فجاء بوصف لا يقدر عليه المبصرون. فبرع في رسم صورة شعرية تآزرت في صنعها حواسه، فإنَّ إحساسه الخاص بهول الليل المستبد به منذ كان على الدنيا هو الذي خلق هذه اللوحة على هذا النحو المدهش. فحاسته الخاصة وفطنته هي التي أبدعت الصورة ليس سواها مما يُطال الخوض فيه. إذ نحن هنا في مقام تأمل كيفية أتفاق مثل هذا المركب الفني البصري البارع لشاعر أعمى. فصورة "الليل تهاوى كواكبه" قد لا تخطر إلا في ذهن الأعمى، لا بسبب فقدان البصر، ولكن لسبب أهم من ذلك، مستمد عن خاصية معنى الليل لدى العميان وإحساسهم به؛ فليس هو الليل الذي يعرفه المبصر أو حتى يمكن أن يتخيله؛ من حيث هو رمز يمثل عصارة تجربة الشاعر المُرة الطويلة في عالمه المظلم، ولن يتأتى له التعبير عنه في صورة إلا بتلك الحُمول المغروسة في نفسه .

أما المسار الثاني، وهو المسار الذي سيطر عليه شعوره الساخر، وإحساسه بالكراهية والسخرية، وكان متمثلًا بغرض "الهجاء" فكان شديد الهجاء سليط اللسان وكان الناس يشكونه إلى أبيه، إذ نراه في هجاء العالم النحوي سيبويه حينما لم يحتج بشعر بشار، فهجاه هجاءً مرًا حاول أنْ يثبت فيه قيمته وشأنه وعَيّر سيبويه بأمهِ الفارسيّة التي تعطي عرضها مقابل المال، يقول[١١]:

أسيبويـــه يا بن الفارســـية ما الذي تحدثـت عن شتمـي ومـا كُنت تنبـذ

أظلـت تغنـي سادرًا فـي مساءتـي وأمـك بالمصـريـن تعطـي وتـأخـذ

وهذا الهجاء دفع "سيبويه" إلى أنْ يحتج بشعر بشار ليدفع عنه لسانه البذيء[١٢]. وقد هجا بشار كثيرًا من معاصريه، وكانوا يبكون خوفًا من لسانه السليط، وقد تعددت الدوافع التي جعلت من بشار شاعرًا هجاءً، كما تعددت تفسيرات النقاد لغلبه الهجاء على شعره، وإنْ كان العمى محركها الأساسي، من هذه الدوافع ما يعود للطبع الذي فُطر عليه في حب الهجاء والنيل من خصومه، بعد أنْ طوقته طبيعته بالعمى، فلم يكن بوسعه أنْ يكد ويجتهد في تحصيل غاياته مثل المبصرين[١٣].

ثانيًا: عاهة العور

العور: (هو ذهاب حس أحدى العينين)[١٤]، والأعور هو الذي ذهب بصر أحدى عينيه[١٥]، (ويقال: رجلٌ أعور لمن عارت عينه فهو يتخوف من رؤية الناس له)[١٦] إنَّ العور يكون ظاهرًا فلا يستطيع الانسان إخفاءه عن الأخرين، ومما يزيد الأمر عليه سوءًا إنَّه قد أضاف إلى عاهة الجسم التي تعيق الرؤيا السليمة عاهة خَلقية لما في العور من سوء منظر وعيب خِلقة، مما يترك لدى الشاعر حالة نفسية شديدة تؤثر في سلوكياته. وتجرح أحاسيسه المفعمة بالعاطفة، ثم إنَّ نظرة المجتمع بازدراء، وتطير نحو الأعور تزيد مشاعر الأسى التهابًا، وقد كانت العرب وما زالت إذا عاينوا الأعور تطيروا منه ، وتشاءموا[١٧].

ومن الشعراء الذين أصيبوا بهذه العاهة أبو يعقوب الخريمي[١٨]، وهو من كبار شعراء العربية ولكن لم يأخذ حقه، وكان معروفًا لدى الخاصة أكثر منه لدى العامة، وتضاءل ذكره وأختفى مبكرًا، ولم ينل نصيبه من الشهرة كغيره من الشعراء، ومن أشد المعجبين به وبشعره

هو أبو حاتم السجستاني إذ قال: "الخريمي أشعر المولدين"[١٩]. وله شعر يفخر بنفسه ويثني على حسن ضيافته، إذ يقول[٢٠]:

أُضاحِكُ ضيفي قبل إنزالِ رحلِهِ ويُخْصِبُ عندي والمحَلُّ جديبُ
وما الخصبُ لِلأَضيافِ أن يَكْثُرَ القرى ولكنّما وَجْهُ الكريمِ خَصيبُ

ففي الابيات الاولى بيان لنفس الشاعر، وشعوره بما أصيب به، فالكثير غيره أُصيبوا بالعمى مما يخفف عنه ذلك، ولكن المشكلة ليست في فقد البصر، بل المشكلة في ألا يكون القلب منيرًا، لكن في حالة شاعرنا تحول نور بصره إلى قلبه وأشعل فيه سراجًا من نور العلم يشفي عماه ويعوضه عنه، أما في الابيات الثانية يتكئ الشاعر على القلب واللسان وبصيرة العقل، ويتخذها سلاحًا في مواجهة الضعف والشعور بالنقص، فالعقل لديه أمضى وسائله يسعى به لإثبات الذات، وتقوية العزائم، ثم مواجهة السخرية أو الشفقة الاجتماعيين، فضلًا عن كون القلب ذكيًا عنده، والعقل لا يدخله الخطأ، ولسانه صارم كالسيف .

ويبدو أن حياة الخريمي بعد عاهته كانت صعبة لا تحتمل، ضيقة لا تطاق، يصح فيها ما قاله الصفدي: "ما أشد العمى على من كان بصيرًا"[٢١].

ومن الشعراء الذين عرفوا بهذه العاهة أيضًا الشاعر "عمرو الأعور الخاركي"[٢٢]، شاعر أزدي من شعراء البصرة، كنيته أبو عثمان، كان ماجنًا عابثًا خبيث اللسان. كان يهاجي عمرو المخلخل الشاعر مولى ثقيف، وله هجاء في أمه، وفي ذلك يقول[٢٣]:

وقد طَوَّلَتِ الإسبَ فصار الإسْبُ قارِيَّهْ[٢٤]
عَلاها بَرَصُ الصُّدْغِ فصَارت أنذرانَّيهْ[٢٥]

ففي قوله هذا يبين الشاعر مدى حقده وبغضه وغلّه على مجتمعه، إذن المجتمع الذي ينتمي إليه الشاعر مسؤول عن نظرته السوداوية لمن حوله فكان هجاءه مقذعًا، إذ أتخذ من الهجاء ما شفى غليله به، لأن ما واجهه الشاعر من أسى حيال عاهته من قبل الناس ومن معاصريه الشعراء وخصومه لم يكن بالشيء اليسير؛ وإنما كان يولد لديه أوجاعًا خفية وكرهًا حيال الناس فيهجوهم .

المحور الثاني

عاهة القصر والعرج

أولًا: عاهة القصر

(قصر: القاف والصاد والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدلُّ على ألا يبلُغَ الشّيءُ مدَاه ونهايتَه، والآخر على الحَبْس. والأصلان متقاربان. فالأوّل القِصَر: خلاف الطُّول. يقول: هو قَصيرٌ بيِّن القِصَر)[٢٦]. ويقال: (قصر الشيء قصرًا وقصارة، ضدَّ طال فهو قصير جمع قصار وقصراء، وهي قصيرة)[٢٧]، فالقصر عاهة أُخرى تحيل بين الشاعر، وبين تحقيق ذاته في مجتمعه الذي عاشه ولاسيما أنَّ العرب كانت تمدح الأفراد بطول قامتهم، وتعيب عليهم قصرهم، وكان الشعراء يتفاخرون بالطول، ويمدحون الرجل بطوله[٢٨]. فكان يحزُّ في نفس الشاعر التواقة إلى بلوغ العلا حين يُعبر بعاهة القصر أو أيَّة عاهة أخرى .

ولو تفحصنا مفهوم "القصر" وهو عيب في الخِلقة لوجدناه ينبئ في مفهومه الدقيق عن معنى الذل، والقرب من الأرض وما إلى ذلك من المعاني الأخرى. لذا فقد أطلق على بعض الشعراء الذين أصيبوا بعاهة "القصر" ألقابًا تبين مدى تأثير القصر فيهم، فيقال، جحدر، وهو الرجل الجعد القصير[٢٩]. ويقال: (الحطيئة، وهو القصير، سميَّ الحطيئة لدمامته)[٣٠]. ويقال: رجل قزم، أي: ذو قصرٍ، ودناءة وما شابه ذلك من الألفاظ الدالة على الذلِّ، والاحتقار[٣١]، والتي تعكس لنا انفعالات و ردود فعل وجدانية مكللة بخطابات موجهة بغية التعويض .

ومن الشعراء الذين أصيبوا بعاهة القصر "المرار بن سعيد الفقعسي"[٣٢] شاعر مخضرم الدولتين الأموية والعباسية، إذ عانى من صفة بدنية (خَلْقية)، سببت له أثرًا نفسيًا عميقًا هي قصر قامته الشديد مع نحافة وصغر، إذ كان قصيرًا مفرط القصر ضئيل الجسم[٣٣]. ومن الواضح أنَّ هذا العيب الخَلقي ترك في نفسه اثرًا عميقًا مما دفعه أن يقول[٣٤]:

وَمُنتَظِـــرِي حَتمًـــا ، فقـــال رأيتَـــهُ نَحِيفًـــا، فَقَـد أجـزَى عَـنِ الرَّجُـلِ الصـــمِّ[٣٥]
رأت رَجُـلًا قَصـدًا[٣٦]**، دَعَـائِمَ بيتَـهُ طـــوَال، وَ مـــا طُـــولُ الأبـــاعِرِ بالجِســـــمِ**

فالنص المتقدم يشير بوضوح مبلغ معاناته من قصر قامته مما دفعه إلى ابتداع دفاعات له من خلال الاعتماد على صورة محسوسة، فالعبرة لا تكمن بطول الجسم وضخامته كما هو

حال الأباعر، فذلك لا يرقى دليلًا على مكانة الانسان ورجحان عقله ومنزلته بين بني جنسه، فنراه يورد معاني تثبت حقيقة بأسه مقارنةً بالرجال، وإنَّ هذه المقارنة إنَّما جاء بها ليبين قوته، وشراسته. فالمروءة غير محتكرة على طول الجسم، أو ضخامة الرجل، فالشاعر ينوب عن الرجال في الأمور التي تحتاج إلى إدراك لما يملكه من عزيمة، وإرادة. وهذا النص عبارة عن صرخة توحي بشعورهِ المؤلم لهذا الإحساس، هذا الشعور الذي دفعه إلى ايجاد صفة تعويضية تتمثل في انتسابه إلى بيت رفيع له شأنه، ويقصده الناس وقت الحاجة فيستغني الشاعر برفعته ومكانته عن طول جسمه ، محاولًا بذلك تعويض الشعور بالنقص الذي عانى منه بعمق ومرارة فشكّلت هذه الصرخة رد فعل لتجاوز تلك المرارة واللوعة التي تكبدت في وجدانهِ(٣٧).

وفي جانب آخر عمد "المرار" إلى تحشيد صفات وقيم أخرى أملًا في مقاومة الأثر النفسي المتحقق فيه، فأورد أبياتًا يفتخر بها في نفسه ليعوض عمَّا به من عيب، إذ يقول(٣٨):

عَـــدُّوني الثَّعلَـــب عنـــد العـــدد حَتَّـــى اســـتَثاروا بِـــي إحـــدى الأُحـــد

لَيثًـــا هَـــزِيلًا ذا سِـــلاحٍ مُعتَـــدي يَرمِـــي بِطَريـــقٍ كـــالحَرِيقِ المُوَقَّـــدِ

أتى الشاعر بذكر "الثعلب" بما فيه من صفات الخبث، والخديعة، والمراوغة، والمكر، والنذالة، والدنائة(٣٩)، ليوحي بمقصد مضمر يبين فيه نظرة المجتمع إليه، ولما به من عاهة، ألا أنَّ الشاعر سرعان ما يثبت مكانته وبرغبة شديدة، من خلال إيراد صورة الأسد ضعيف الجسم، قوي البأس المتأهب للعراك، فيصوِّر الشاعر حركته المليئة بالخفة، والشراسة وقت النجدة، ليعوض ما عاناه من أسى إصابته بتلك العاهة، وما كانت عبارة "الحريق الموقد" إلَّا مرآة لمشاعر النقص المتوقدة في نفس الشاعر.

ثانيًا: عاهة العرج

من العاهات التي أصابت بعض الشعراء هي عاهة العرج، (العرج والعرجة: الظلع. والعرجة أيضًا: موضع العرج من الرجل. والعرجان، بالتحريك: مشية الأعرج. ورجل أعرج من قوم عرج وعرجان، وقد عرج يعرج، وعرج عرجانًا: مشى مشية الأعرج بعرض فغمر من شيء أصابه، وعرج، لا غير: صار أعرج. وأعرج الرجل: جعله أعرج)(٤٠) فالعرج عاهة تصيب أحدى رجلي الرجل فيعاق سيره، ويصير بذلك أعرجًا، وبذلك تتأثر حياة صاحبها، فلا يستطيع

مع وجود هذه العاهة أنْ يركب الخيل بخفة، ولا يستقيم جسده، ولا يسير بسرعة وكل ذلك يؤثر بشكل أو بآخر على حياته .

ومن هؤلاء الشعراء الشاعر "أبو الخطاب البهدلي"[٤١] وهو عمر بن عيسى بن عامر البهدلي التميمي، وكان أحد العرجان فنراه يشكو في شعره من عاهته، إذ يقول[٤٢]:

قُلْتُ لِرِجْلِي وهي عَرْجَاءُ الخُطَا تَشْكُو إلَيَّ وجعًا من النَّسَا[٤٣]
أوْ من أذى الرّيح ففي الرّيح الأَذى مُوتِي وَهَيْهَاتَكِ مِنْ أَخذْ العَصَا
وَمن تَرَجِّيكِ الذي لا يُرتَجَى أَتفضحيني بَيْنَ حُورٍ كالمَهَا
أَوَانِسٍ مثل تَصَاوير الدُّمى كَمْ بين قَولِ الغانيات: يا فتى
وقولهن شَابَ هذا وَانْحنَى أَشُدُّهُ مِنْهُنَّ كَيْمَا لا يُرى
جبين وجهٍ وَجَبِينًا في القَفَا وإنْ بَدا رَمَيْنَ رَأسِي بالحصى

اتخذ الشاعر من أسلوب الفكاهة والمرح في حديثه مع رجله، ومناجاته إياها، وتضايقه من لجوئها إلى العرج، سبيلًا ينفث به عن خفايا أثرت في نفسه، فأستل الشاعر من هذا الأسلوب خطابًا عوض به عن نقصه الذي بانَ جليًا في ذكر صفة العرج، أو الاعوجاج بكلمة أدق. فنراه يخاطب رجله العرجاء وهي تشكو ألمها، ألا تطمع فيما تشتهيه، وكأنه يشكو فقره ويصف حاله بين الغواني بأنَّه كَبِرَ في سنه ولم تعد له حظوة عندهن[٤٤].

فكانت هذه الألفاظ التي أوردها الشاعر في خطابه الشعري ألفاظًا يعوض بها عما يعتريه من نقص بسبب عاهته، فكانت هذه العاهة مصدرًا ولَّد الانفعال الذي أحدثه الشاعر في ألفاظ البيت، إنَّ أيَّ إنفعال يحدث؛ إنَّما يحدث حين يعاق أحد دوافع الفرد الأساسية فيحدث خللًا في سلوكه الصادر عن ذلك العضو الذي تعطل فيسعى جاهدًا لبلوغ هدفه[٤٥].

وقال في باب الهزل معرّضًا بامرأة لعلها زوجته، ويصف حاله، إذ يقول[٤٦]:

أما تَرَيْنَ البَهْدَلِيّ قد نَحَلْ وصار يمشي مِشْيَةً فيها خَطَلْ[٤٧]
على ثلاثِ أرجلٍ فيها عَصَلْ[٤٨] **واحدةٌ في كفِّهِ من الأسَلْ**[٤٩]
كَسرَطانِ البَحْرِ يَمْشي في الوَحَلْ[٥٠]

يصف الشاعر هنا حاله بعدما أسن وقلت حيله واضطربت أحواله، فنلحظ من تصويرِهِ هذا مدى اليأس والألم والحزن الذي تختزله نفسه على ما به من نقصٍ، ففي خفايا هذه الألفاظ الهزلية مشاعر منكسرة، وصراعات نفسية مؤثرة، فبين الشاعر انكسار قلبه بسبب فقدانه رجله، وإنَّه يتكئ في مشيته على العصا، متخذًا منها عوضًا وبديلًا عن رجله العرجاء، فلم تكن هذه "العصا" إلا رمزًا يوحي بعاهة الشاعر، و أراد من ذلك عرجه، فأوحى إلى عاهته برمزٍ عُرِفَ وتعارف عليه مجتمع الشاعر، فأصدر خطابه التعويضي بأسلوب الهزل ليتخلص من مشاعره الحزينة التي تكمن في أحاسيسه .

وله شعر في الفخر، وفي ذلك يقول(٥١):

الجـــوُدُ طَبْـــعٌ ومَـا يَسْتطِيعُـــهُ أَحَـدٌ إلاَّ امْـــرُؤٌ والِـــداهُ : الدِّيـــنُ ، والكَـــرَمُ

أوضح الشاعر هنا بما يتحلى به من صفات الكرم والسخاء والتي لا يقدر عليه أي كان، وكأنَّهُ أراد أنْ يولد في نفسه مشاعر الرفعة والعلو؛ ليقلل من حدَّة عاهته، وليعوض ما به من نقص. فالشاعر حين يفخر بنفسه في قصائده يجعل فخره بنفسه جزءًا من فخره بقبيلته، فيورد أبيات يفتخر بها بشجاعته أو صفاته الحسنة، وذلك ليبين أهميته في المجتمع حتى وأن أصيب بعاهةٍ ما، ابعدته عن ممارسة نشاطاته، وليثبت وجوده الفعلي الذي يقتضي منه التصريح بذلك والبوح به .

وهناك كثير من الشعراء الذين أُصيبوا بعاهة العرج لكن لم أجد لهم خطابًا تعويضيًا في كتب الأدب ومن هؤلاء الشعراء الشاعر "أبو مالك التميمي الأعرج"(٥٢) هو النضر بن النضر التميمي، كنيته أبو مالك. ولد ونشأ في البادية ثم وفد إلى الرشيد ومدحه وخدمه فأحمد مذهبه ولَحَظَتْهُ عناية من الفضل بن يحيى فبلغ ما أحب، لقّب بالأعرج لإصابته بعاهة العرج، ومن شعره قوله في رثاء والده(٥٣):

زال عنـــا الســـرورُ إذ زلـــت عنـــا وازدهانـــا بكاؤنـــا والعـــويلُ
ورأيـــنا القريـــبَ منـــا بعيـــدًا وجفانـــا صديقـــنا والخليـــلُ

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الأعمال الصالحات والصلاة والسلام على خير الكائنات، وبعد :

- إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أعطى للأفراد من النعم درجات متساوية، فلمَّا كان المعاق قد تعرَّض لأذى جسمي منحه الله تعالى بدل ما ذهب منه قوة بديهة، وسعة خيال جعلته مبدعًا في رسم لوحاته الشعرية .
- إنَّ بعض الشعراء إتبع اسلوبين مختلفين في التعويض؛ ليسدَّ النقص الذي ولَّده عجزه الجسدي، أو أساه النفسي، فالشاعر "بشار بن برد" اتخذ الهجاء سبيلًا لتعويض عاهته من جهة، وسبيل الوصف والبراعة في التصوير من جهة أخرى
- إنَّ غرض " المديح " لم يأتِ في معرض التعويض البتة، ولم يسلكه أيَّ شاعرٍ في خطاباته التعويضية؛ وذلك لإنعدام الصدق العاطفي في غالبه، ولاسيمَّا إذا كان لغرض التكسب .
- إنَّ نسبة كبيرة من الشعراء الذين اتخذوا سبيل "الهجاء" في التعويض، كانوا ممن أُصيبوا بعاهة خلقية شوهت وجوههم. ومن هؤلاء الشعراء (بشار بن برد،)، ولاسيَّما "عاهة العور" كالشاعر (أبو يعقوب الخريمي، وعمرو الأعور الخاركي)، وغيرهم من الشعراء .

Abstract

Compensation for the Outward "Physical" deficiency in Abbasid Poetry

Prof. Kamal Abdel-Fattah Hassan Al-Samarrai (Ph.D.)
University of Samarra / College of Education
MA Candidate Hussein Kannan Ghaab
University of Samarra / College of Education

Key words: blindness and visual impairments, shortness, lameness

Praise be to God who created man in the best form, and prayers and peace be upon the trustworthy prophet Muhammad and upon his family.

The human soul is eager to express emotions when exposed to harm, therefore the events of difficult and painful years affect the poet, thus the poet expresses his poetic discourse. When the feelings and emotions of the poet are being harmed, the poets here attempt to suppress their feelings, but they must show an action that expresses the harm they had experienced.

The poet's public presence is of great importance in the society to which he belongs, as he is a engrossed of the customs of that society. If the poet suffers a

disability in his body - especially when this disability is apparent and cannot be hidden - it has a great impact on the poet's psyche, revealing his feelings of inferiority, and quoting words indicating the compensatory discourse. There is a close relationship between sovereignty and physical fitness. However, this apparent physical disability prevents the achievement of sovereignty, and the matter becomes worse when the poet is called by his handicap among society members . The effect of that deficiency is very severe, because the poet in such a situation cannot escape from the reality of the apparent deficiency on him, as the poet belongs to a society that does not leave him alone. People always remind him of that physical deficiency wherever he goes and travels, and some poets are only known by that title or disability

الهوامش

١) أي: بين البدل وبين العوض .

٢) ينظر: لسان العرب: مادة (عوض) .

٣) المعجم الوسيط : مادة (عوض) .

٤) التعويض عن الضرر الأدبي (دراسة مقارنة) وهي رسالة ماجستير في القانون، خاصة بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، إعداد: باسم محمد يوسف قبها، إشراف: د. علي السرطاوي، نابلس – فلسطين، ٢٠٠٩م .

٥) ينظر: الخطاب التعويضي في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي: نيران عبد اللطيف، إشراف: أ. د. كمال عبد الفتاح السامرائي، رسالة ماجستير، جامعة سامراء.

٦) نكت الهميان في نكت العميان: صلاح الدين الصفدي، المطبعة الجمالية – مصر ١٣٢٩هـ – ١٩١١م .

٧) المصدر نفسه .

٨) ينظر: الأغاني: ٩٨/٣، الشعر والشعراء: ٧٤٥/٢، البيان والتبين: ٦٣/١، الحيوان: ٤٤٢/٧ .

٩) الأغاني: ١٤١/٣ .

١٠) ينظر: المصدر نفسه: ٩٨/٣ .

١١) ديوان بشار بن برد: جمعه وحققه: السيد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، د. ط .

١٢) أثر العمى في شعر بشار بن برد ، مجلة جامعة البعث، المجلد ٣٦، العدد ٧، ٢٠١٤، علاء الدين علي ناصر .

١٣) ينظر: المصدر نفسه .

١٤) لسان العرب: مادة (عور) .

١٥) ينظر: المعجم الوسيط : مادة (عور) .

١٦) الشعور بالعور: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت:٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق حسين، دار عمار – عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٧م .

١٧) ينظر: الحيوان: ٢٠٨/٣ .

١٨) ينظر: الشعر والشعراء: ٨٥٣/٢، تاريخ بغداد: ٣٣٥/٧، الشعور بالعور: ص٢٤٥، زهر الآداب: ٢٠١/٤ .

١٩) تاريخ بغداد: ٣٣٦ .

٢٠) أبو يعقوب الخريمي "حياته وشعره" : تأليف: علي جواد الطاهر، الموسوعة الصغيرة، سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب، تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق .

٢١) ينظر: نكت الهميان في نكت العميان: ص٣٩ ، شعر المكفوفين في العصر العباسي: ص١٠٢.

٢٢) ينظر: الورقة: ص٥٩، الشعور بالعور: ص٢٥٩، البرصان: ص١٦٣، سيزكن: ٨٣/٤، معجم الشعراء: ص٥٢ .

٢٣) البرصان: ص١٦٣ .

٢٤) في الأصل: "وقد طولت الاستقصار" و(أسب) و (القاربة) بتشديد الياء وهو طير أخضر اللون أصفر المنقار طويل الرجل .

٢٥) الأنذراني: لغة عامية في الذرانية. والذرآني بتحريك الراء وإسكانها: صفة للملح الشديد البياض، وفي الأصل "بردانية" .

٢٦) معجم مقاييس اللغة: مادة (قصر) .

٢٧) المعجم الوسيط: مادة (قصر) .

٢٨) ينظر: عيون الأخبار: ٥٤/٤ ، الكامل في اللغة: ٧٩/١_٨١ .

٢٩) لسان العرب ، المعجم الوسيط: مادة (جحدرة) .

٣٠) لسان العرب: مادة (حطيء) .

٣١) ينظر: المعجم الوسيط: مادة (قزم) .

٣٢) ينظر: اعلام الجبابرة: ص٣٣٧ ، المؤتلف: ص٢٣٠ ، شعراء عباسيون منسيون : ص٢٣٩ .

٣٣) ينظر: الأغاني: ٢٤٦/١٠ ، الشعر والشعراء: ٦٩٩/٢ .

٣٤) الشعر والشعراء: ٦٩٩/٢ .

٣٥) صمم: في كذا أو عليه مضى في رأيه ثابت العزم والعزيمة. والأصم : الضخم الغليظ ، لسان العرب: مادة (صم) .

٣٦) الرجل القصد: ليس بالجسيم ولا الضئيل، والقصد: قصد السبيل إذا كان راشدًا واستقامة الطريق، ينظر: القاموس المحيط ، لسان العرب: مادة (قصد) .

٣٧) شعر المرار بن سعيد الفقعسي، دراسة في ضوء التفسير النفسي للأدب، د. خليل إبراهيم عبد الوهاب، مجلة جامعة ديالى، العدد الرابع والثلاثون، ٢٠٠٩م .

٣٨) الأغاني: ٢٤٦/١٠ .

٣٩) ينظر: الحيوان: ٤٧٣/٦ .

٤٠) لسان العرب: مادة (عرج) .

٤١) ينظر: طبقات الشعراء: ص١٣٢، البيان والتبين: ٦/١، الورقة: ص٦٤، شعراء عباسيون: ق٢/١/٢٣٣ .

٤٢) الورقة : ص٦٦ .

٤٣) النسا: عرق من الورك إلى الكعب .

٤٤) ينظر: الشعراء البدو في العصر العباسي الأول، مدينة خالد ، أطروحة دكتوراه ، إشراف: د. محاسن محمد الفحل، جامعة السودان .

٤٥) ينظر: أصول علم النفس: الدكتور: أحمد عزت راجح، دار القلم، بيروت – لبنان، د. ت.

٤٦) مجالس ثعلب: لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت: ٢٩١هـ)، شرح و تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر .

٤٧) الخطل: خطل في مشيه إذا تلوى واضطراب وتبختر، ينظر: المعجم الوسيط: مادة (خطل) .

٤٨) العصل: الإعوجاج . وفي الأصل: "عطل" وليس بشيء ، ينظر: لسان العرب: مادة (عصل) .

٤٩) عني العصا التي يعتمد عليها ، وقد اتخذها من الأسل، وهو شجر ذو اغصان كثيرة شائكة الأطراف ينبت في الماء وفي الأرض الرطبة، وفي الأصل: "الأشل" تحريف، ينظر: القاموس المحيط: مادة (أسل) .

٥٠) السرطان معروف بكثرة أرجله . أنظر: الحيوان: (٤٧٢/٤ ، ٤٠٦/٥) .

٥١) الورقة : ص٦٤ .

٥٢) ينظر: البرصان: ص٣٣٤، الوافي بالوفيات: ٧٩/٢٧ .

٥٣) اعلام الجبابرة : ص٣٦٨ .

المصادر والمراجع

- أبو يعقوب الخريمي "حياته وشعره" : تأليف: علي جواد الطاهر، الموسوعة الصغيرة، سلسلة ثقافية تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب، تصدرها دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق .
- أثر العمى في شعر بشار بن برد ، مجلة جامعة البعث، المجلد ٣٦، العدد ٧، ٢٠١٤، علاء الدين علي ناصر .
- أصول علم النفس: الدكتور: أحمد عزت راجح، دار القلم، بيروت – لبنان، د. ت.
- الأغاني: أبو فرج الأصفهاني "علي بن الحسين (ت: ٣٥٦هـ- ٩٧٦م)، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الدكتور إبراهيم السعافين، الأستاذ بكر عباس، دار صادر- بيروت.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، د. تح: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ .
- البيان والتبين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، د. تحقيق: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ١٤٢٣هـ.
- تاريخ التراث العربي، الشعر إلى حوالي ٤٣٠هـ ، العصر العباسي: فؤاد سيزكين، نقله إلى العربية، د. عرفة مصطفى، راجع الترجمة: د. محمود فهمي حجازي، د. سعيد عبدالرحيم، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- تاريخ مدينة السلام، وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م .
- التعويض عن الضرر الأدبي (دراسة مقارنة) وهي رسالة ماجستير في القانون، خاصة بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، إعداد: باسم محمد يوسف قبها، إشراف: د. علي السرطاوي، نابلس – فلسطين، ٢٠٠٩م .
- الحيوان: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت:٢٥٥هـ)، تحقيق: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ

- الخطاب التعويضي في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي: رسالة ماجستير، الباحثة: نيران عبد اللطيف أحمد، إشراف: أ. د. كمال عبد الفتاح السامرائي، جامعة سامراء – العراق .
- ديوان بشار بن برد: جمعه وحققه: السيد بدر الدين العلوي، دار الثقافة، بيروت – لبنان، د. ط .
- زهر الآداب وثمر الألباب: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني (ت: ٤٥٣هـ)، دار الجيل، بيروت، د. ت.
- شعر المرار بن سعيد الفقعسي، دراسة في ضوء التفسير النفسي للأدب، د. خليل إبراهيم عبد الوهاب، مجلة جامعة ديالى، العدد الرابع والثلاثون، ٢٠٠٩م .
- شعر المكفوفين في العصر العباسي: عدنان عبد العلي، دار اسامة، عمان – الأردن، د. ط .
- الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف _ القاهرة .
- الشعراء البدو في العصر العباسي الأول، إعداد: مدينة خالد ، إشراف: د. محاسن محمد الفحل، أطروحة دكتوراه، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا .
- شعراء عباسيون منسيون: د. إبراهيم النجار ، دار الغرب الإسلامي – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .
- الشعور بالعور: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت:٧٦٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق حسين، دار عمار – عمان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٧م .
- طبقات الشعراء: عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (ت: ٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثالثة، دار المعارف _ القاهرة .
- عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

- الكامل في اللغة والأدب: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ .
- مجالس ثعلب: لأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت: ٢٩١هـ)، شرح و تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر .
- معجم الأدباء ذوي العاهات "اعلام الجبابرة" : كارين صادر، ونصير الجواهري، تصدير: محمد مهدي الجواهري، دار صادر – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م .
- معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: ٣٨٤هـ) بتصحيح وتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .
- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية .
- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
- نكت الهميان في نكت العميان: صلاح الدين الصفدي، المطبعة الجمالية – مصر ١٣٢٩هـ – ١٩١١م .
- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م .
- الورقة: لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجراح، تحقيق: الدكتور عبد الوهاب عزام، و عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثالثة .